

أنثروبولوجيا الجسد في الفكر العربي القديم

الأستاذة: عابد براشد المولودة شدمي

جامعة تلمسان

يتمتع الجسد بوحدة فيزيقية وكيان مستقل عن مختلف أشكال التمثيل، وهو نظام من العلامات الدالة والمنتجة للمعاني فكل استعمال للجسد يعتبر تعبيراً ظهر نتيجة لنشاط وسلوك ذاتي أفرزه المحيط الخارجي، وحسب الدكتور (إبراهيم أحمد، 2012) إذ الحياة تفرض على الإنسان أن ينظر في جسده يوماً بعد يوم، فيه يحسّ الإنسان ويعبّر ويبتكر ويحلم ويتخيل، ومن الجسد يطل على واقع الآخرين الجسدي ويلتحم بمفردات العالم وأشياءه. وقد ظهر الاهتمام بدراسة الجسد وطبيعة النظام السياسي في الحضارة الإسلامية في مختلف مراحل تطور الدولة الإسلامية بحيث أنّ الباحث (ناصر صلاح الدين، 2012) يعتبر استدعاء مفهوم الجسد وطبيعته وخصائصه إلى دائرة الفكر والمعرفة الإنسانيين ليستدعي استحضار، مفهوم العقل وإشكالية العلاقة بينهما من خلال فعل الإحالة المستمر، وذلك في محاولة الإنسان تفسير طبيعة الأنا المتجسدة وعلاقتها بالله والعالم والآخر جدلية الجسد، الدين، السلطة السياسية وأثرها في تحوّر الحضارة الإسلامية.

وعليه، منذ عقدين من الزمن كان الباحث العربي مُهتَمًا بدراسات وأبحاث تقليدية تتصل بالمرأة والجنس وتنحو حسب الباحث في غالبها مَنَحَى إيديولوجيا من غير أن تنسج لنا تاريخًا للجنس أو دراسات جهوية معمّقة عن الخطاب حول المرأة في هذه المرحلة أو تلك، وحين ظهور الدراسات الأولى عن الجسد في الثقافة العربية من منظور أنثروبولوجي وفلسفي وسيكولوجي، ولو بشكل مُختشم، ثم تحدث وحسب ما يشبه القطيعة مع هذه الموضوعات التقليدية وإنما أيضا مع المنهجيات والمقاربات ذات الطابع التاريخي أو السوسيولوجي أو الوصفي المحض.

لم يُفهم الجسد في الثنائية الكلاسيكية دينية كانت أو فلسفية إلا في جدليته مع الروح لقد كان يمثل اللاروح *Le non-esprit*، فكان دَوَمًا في التراثية الوجودية، السيء في التراثية الأخلاقية والنسبي في التراثية الجمالية، ومنه عرف الجسد حَضُورًا مركزيًا مع فلسفة الفينولوجية بداية مع كتابات ميرلوبو-نتي *Merleau-Ponty* التي استطاعت تجاوز الالتباس الثنائي في تفسير الكينونة الإنسانية لتؤسس واحدة تعلي من الجسد، لكن دون سقوط في مادية تقابل المثالية، لقد قدمت تفسيرًا جديدًا فلم تتحدث عن ذلك- الجسد الموضوعي- الذي استهدفتُهُ التأمّلات الفلسفية، ورفضته الرؤى المثالية واستنكرته الأحلام الأخلاقية وأرادت أن تتحكم فيه الدراسات العلمية بكل جسد ذاتي عَبَرَ عنه *Merleau-Ponty* بقوله: "تجربة الجسد ستقوم على فضاء ذاتي، أين يأخذ الجسد مكانة كعين ذواتنا بعد أن كان مجرد غلاف لذواتنا بمعنى أنّ الجسد الذاتي ليس الجسد الذي هو لى، بل الجسد الذي هو ذاتي، هذا هو البُعد الفاعل للجسد الذي يؤكد حضوره لا بشكل تجزيئي آلي بل بشكل كلي، والفاعليه هنا لا ترتبط بأجزائه بل كل جزء منه يعبر عن الكل فيه، هذه الفاعلية تحددها الفينومينولوجيا في وظيفتين، اللغة واللغة الجنسية، هما وظيفتين كانتا جدّ واضحة في كتابات المؤلف (سعد جلال

الدين، 31) الذي يعتبر أنّ التفكير في الجسد في الفكر الديني الإسلامي بحكمه تعدد الخطاب الديني الذي يتداخل فيه الفقهي والبلاغي والتاريخي والفلسفي والصوفي، يتدخل فيه المقدس والمدنس الحلال والحرام، التجربة الفردية والسلطة الاجتماعية، الأمر الذي يستدعي مساءلة هذا الخطاب من منطلق أنّ هناك جسداً دينياً بدلالات متعددة بحكم كونه جسداً له محدّداته من جهة وله تمثالاته ورموزه وتخيالاته المتنوعة تنوّع الفضاء الزمني والمكاني، إنّ الجسد الديني بهذا المعنى ليس جسداً عضوياً بل جسد ثقافي رمزي فاعل.

يعتبر (فريد الزاهي، 1999: 39) أنّ الجسد الإسلامي يعيش حالة تغييب متعدد من مجال الدراسات التي تطرقت للتاريخ الإسلامي نصّاً ومجتمعاً سواء من منظور أنثروبولوجي أو تاريخي أو أدبي، من ثمة ساد تمثل الجسد تارة في علاقته بالسلوك الإيماني للمسلم في بعده الديني واليومي وأخرى في بعده الآدبي، وتمّ البحث فيه تارة أخرى ضمن التراثية الثنائية العتيقة للروح والبدن، ولم ينعم الجسد ببعض الحضور إلّا في عمومية الجسم الكلامي والفلسفي الذي يجتمع فيه الجسد الإنساني والأفلاك وكلّ ما له هندسة طولية وعرضية وحجم ووزن وكذا في الأحكام المتعلقة بالنكاح والنظافة والطهارة، وفي الشعر الغزلي سواء كان عذريّاً أو مآجناً.

إنّ مرجعيتنا التابعة للصحيحين ولسندات الأئمة السبعة تكفي لطرح تصور واضح ومتكامل عن مكانة الجسد في يوميات المؤمن من حيث أنّ الإسلام تضمن في ترتيب حياة المؤمن في مجملها من الصحو إلى المنام بحيث وضعت برامج حددتها النصوص التشريعية كآداب الصلاة، الأكل النوم الطريق، اللباس والطهارة، والهدف الأساسي من هذه الدقة والشمولية يكمن أصلاً في خلق نموذج عام

للممارسات السلوكية والخطائية والجسدية يكون ذات طابع مرجعي ومن ثمّ هناك توحيد السلوك الجسدي لكافة المسلمين.

ورجوعاً إلى (سعيد جلال الدين) عندما يقول أنّ التفكير في الجسد في الفكر الديني الإسلامي بحكمه تعدد الخطاب الديني الذي يتداخل فيه الفقهي والبلاغي والتاريخي والفلسفي والصوفي، يتداخل فيه المقدس والمدنّس، الحلال والحرام، التجربة الفردية والسلطة الاجتماعية، الأمر الذي يستدعي مساءلة هذا الخطاب من مُنطلق أنّ هناك جسداً دينياً بلا دلالات متعددة بحكم كونه جسداً له محدداته من جهة وتمثلاته ورموزه، تخيلاته المتنوعة تنوع الفضاء الزماني والمكاني من جهة أخرى. وعليه، يعتبره (فريد الزاهي، 1999) على أنّه أيّ جسد ليس جسداً عضوياً بل جسد ثقافي رمزي فعّال.

نستخلص في هذا المجال، أنّ مفهوم الجسد أخذ مجالاً واسعاً ونطاقاً تجاوز فيه كل العلوم والأدبيات وذلك منذ بروز الفكر العربي الإسلامي ولازالت التخصصات، تبحث في هذا الكيان-الجسد- كيف يؤثر وكيف يتأثر انطلاقاً من وجوده إلى العالم الخارجي.

المراجع:

- 1) ناصر صلاح الدين (2012): جدلية الجسد، الدين السلطة السياسية وأثرها في تحوّل الحضارة الإسلامية، أستاذ بجامعة النيلين، قسم الفلسفة، السودان.
- 2) إبراهيم أحمد (2012): إشكالية الجسد في الخطاب العربي الإسلامي، ملتقى دولي، جامعة مستغانم، قسم الفلسفة.
- 3) فريد الزاهي (2012): الجسد أفقًا للبحث والمغايرة، ملتقى دولي بالجزائر، جامعة المغرب.
- 4) فريد الزاهي (1991): الجسد والصورة والمقدس في الغسل، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 39.
- 5) سعيد جلال الدين: فلسفة الجسد، درامية النشر، تونس، 31.
- 6) Merleau- Ponty, Maurice (1994): La nature, Ed. Seuil, Paris, 380.